تؤدى الإعاقة السمعية إلى انعزال الفرد عن الحياة العادية وإذا لم تتخذ الخطوات اللازمة للتغلب على مثل هذا العزل فهذه الإعاقة تتطلب احتياجات من الطفل تكون عبئا علية وهو منعزل تماما عن الخبرات وفرص التعلم التي يتمتع بها الأطفال العاديون وعلية أن يبذل جهدا مستمرا ومضاعفا لتحقيق أشياء يحققها الأطفال العاديون بسهولة وتأتى لهم بسهولة أيضا.

سيكولوجية الطفل الأصم

فمثلا يتعلم الطفل العادي اللغة والحديث بطريقة طبيعية وتلقائية في سنوات عمره المبكرة مضافا إلى ذلك محاكاة الحديث عن طريق الكبار والصغار وعلى ذلك فإن الطفل العادي يتعلم الحديث بصوره تلقائية.

أما بالنسبة للمعوق سمعيا فإنه يتعلم اللغة بطريقة تدريجية ومعدة وتحتاج إلى مهارات خاصة.

فالطفل العادي يستيقظ من نومه بسبب صوت عربة مارة أو صوت طائرة أو صوت إنسان فيترك فراشة ويذهب إلى النافذة لينظر إلى السيارة-مصدر الصوت- ويفكر في لونها أو شكلها,وربما يقلد صوت محركها,وهو متأكد من أن طعام الإفطار يعد بما يسمعه من أصوات في حجرة المطبخ,وأخيرا قد يسمع خطوات أمه قادمة إليه فيفر إلى فراشة حيث إنة يعلم أن أمه لا تحب أن تراه خارج الفراش,الأم تبتسم ويتحدثان ويغير ملابسه,وتطلب من الأم أن يبحث عن الحذاء ويذهب إلى الحمام.

أما بالنسبة للمعوق سمعيا فليس لديه هذا التدريب وبداية يومه شيء مختلف فقد لا يصحو بسبب الصوت,وإنما قد يصحو بسبب الضوء,وعندما يصحو لا يعلم ما إذا كان أبواه قد تركا فراشهما أم لا فهو لا يستطيع سماع الخطوات- ربما يسمع ذبذبة خفيفة في الرياضات- وعندما يكون جائعا لا يسمع أصواتا تطمئنه من حجرة المطبخ ولا يعلم أن موعد طعام الإفطار قد حان قريبا أو بعيدا.

وعندما ينظر من النافذة فليس لديه اسم لما يراه,وتفكيره محدود لأنه لا يجد كلمات,حيث إنه لم يسمع أبدا هذه الكلمات التي يستطيع أن يعبر بها عن أفكاره,فجأة يفتح الباب وتحدث أشياء فجائية تدخل الأم الحجرة بدون إنذار,بدون أن يسمع وقع خطواتها,تبتسم الأم وهو قد يرد الابتسامة,تتحرك شفتاها وتتغير ملامح وجهها ثم تتجه إلى الصوان وتبحث عن ملابس ثم تلبسه إياها,وقد لا يفهم لماذا تفعل أمه هذا أو ذاك بل قد يقاوم أحيانا أفعال أمه,وقد تعتقد الأم أنه يعانى من البرد ولكن لا يشعر بأي برد ,ولا يستطيعان التواصل فيما بينهما,وعلى مائدة للإفطار كل شيء ساكن تتحرك الشفاه ولكن لا توجد أصوات ... فجأة تخرج الأم من الغرفة, ولا يعلم المعوق سمعيا أن جرس الباب يدق.

ينظر لوالده فلا يعلم إن كان والده سيخرج للعمل أم سيبقى في المنزل ذلك اليوم.

إذا حاولنا المقارنة بين هذين المثالين فإن هناك أمورا يجب أن تراعى بالنسبة لشخصية الأصم هي:

- نقص الخلفية الصوتية وبالتالي تلقى التحذيرات المختلفة بالنسبة للأصم تؤثر على أسلوب إشباع حاجاته من حيث الحاجة إلى الإشباع المباشر,وكذلك عدم طاعة للآخرين.
- صعوبة الاشتراك في الحياة العائلية وبناء علاقات سوية مع المحيطين به,مما قد يدفعه إلى العدوان أو بعض مظاهر السلوك الجانح كالسرقة وإيذاء الآخرين.
- تعثر النمو الانفعالي والعاطفي للأطفال الصم مما يجعلهم غير ناضجين اجتماعيا,كما تظهر لديهم الكثير من المخاوف,نظرا لصعوبة تكيفهم الاجتماعي وبناء جسور العلاقات مع الآخرين ومن هنا يبرز دور الأبوين.
- يتأثر النمو اللغوي للمعوق سمعيا نتيجة انعدام ردود الأفعال السمعية من الآخرين,وانعدام التعزيز اللفظي,وعدم التمكن من سماع النماذج الكلامية من الآخرين,وتتفاوت درجة التأثير مع تفاوت درجة الفقد السمعي.
- يجد المعوق سمعيا صعوبة في التعبير اللغوي
- لاحظت بعض الدراسات نقصاً في الداء العقلي للصم على اختبارات الذكاء,ويرجع ذلك إلى طبيعة الاختبارات التي لم تعد للأصم نفسه وإنما أعدت للعاديين.
- تتشابه عمليات التفكير بين المعوق سمعيا والطفل العادي رغم الصعوبات التي يواجهها الأصم في التعبير.
- يتأثر التحصيل الدراسي بالإعاقة السمعية, وخاصة الإعاقة السمعية الشديدة,حيث وجد أن نسبة قليلة من الصم تستطيع القراءة الاستيعابية لما بعد المرحلة الثانوية.

وتشير بعض الدراسات مثل دراسة وايت ستون وآخرون,ودراسة لويس ١٩٦٠,ودراسة وليامز إلى أن مستوى الطفل الأصم التحصيلي أقل من الطفل العادى بمقدار ست سنوات,و٥٪ يستطيعون الدراسة إلى ما بعد الصف الخامس.

- يميل المعوقون سمعيا إلى المجتمعات والنوادي الخاصة بهم.
- يتعرض الكثير منهم لمواقف

الإحباط التي تنعكس على تفاعلهم الاجتماعي.

– يميلون إلى المهن التي لا تحتاج نوعا من التواصل الاجتماعي كالنجارة والخياطة والرسم وغيرها.

الطفل المعوق أو العادي هو ذلك الطفل الذي ينحرف انحرافا ملحوظاً نعتبره عادياً سواء من الناحية العقلية أو الانفعالية أو الاجتماعية أو الجسمية بحيث يستدعي هذا الانحراف الملحوظ نوعا من الخدمات التربوية تختلف عما يقدم للأطفال العاديين.

والطفل المعوق سمعياً كأحد هؤلاء المعوقين يحتاج لمثل هذه الرعاية، لأن فقد حاسة السمع يحد من عالم خبرته ويحرمه من بعض المصادر المادية التي من خلالها يتم تكوين وبناء شخصيته ديناميكية هذه الشخصية وسماتها، ويرجع ذلك إلي أن السمع يرتبط باكتساب المعرفة ونمو اللغة، والنمو الذهني والانفعالي والاجتماعي، وعدم قدرة الأصم على هذه الاكتسابات من شأنه أن يجعل سلوك هذه الفئة من الأطفال جامدا بدرجة خطيرة.

ويجد الآباء صعوبة بالغة في إزالة الجمود ودفع الطفل المعوق سمعيا إلي مزيد من التكيف مع بيئته ومساعدته علي أن ينشأ تنشئة اجتماعية كافية لجعله يعيش في عالم العاديين.

وإذا كانت «التنشئة الاجتماعية» – باعتبارها العملية التي يتعلم فيها الطفل أن يسلك ما يتفق مع ما تطلبه أدوار اجتماعية أدوار اجتماعية معينة، ومع ما يتوقعه أعضاء الجماعة من سلوك وتصرفات ممن يقوم بهذه الأدوار، سهلة التحقيق مع الأطفال العاديين، فإنها تكون عملية صعبة للغاية مع الأطفال المعوقين سمعيا، وذلك يتطلب من الآباء مزيدا من الجهد لفهم إعاقة ابنهم، وتفهم حاجاته النفسية والاجتماعية ومحاولة الخروج به من حيز العزلة التي تفرضها إعاقته عليه إلي علاقات اجتماعية أكثر رحابة وتكيفاً من خلال تنمية وسائل الاتصال معه مبكرا وتوجيه المحيطين به لكيفية التعامل معه، وتنمية استعداداته وقدراته الخاصة، والسماح له أن يعبر عن ذاته ومشاعره بشتي الطرق.

الأطفال الصم Deaf Child

هم أولئك الذين يولدون فاقدين للسمع تماما، أو يفقدون السمع بدرجة تكفي لإعاقة الكلام واللغة، وأيضاً الأطفال الذي يفقدون السمع في مرحلة الطفولة المبكرة، قبل تكوين الكلام واللغة، بحيث تصبح القدرة علي الكلام وفهم اللغة من الأشياء المفقودة بالنسبة لهم للأغراض التعليمية.

والأطفال ضعاف السمع Hardy Hearing

هم أولئك الأطفال الذين تكونت لديهم مهارات الكلام والقدرة علي فهم اللغة، ثم تطورت بعد ذلك الإعاقة في السمع، مثل هؤلاء الأطفال يكونون علي وعي بالأصوات، ولديهم اتصال عادي، أو قريب من العادي بعالم الأصوات الذي يعيشون فيه.

ويعرف Scott الأطفال الصم بأنهم الأطفال الذين ولدوا فاقدين للسمع تماما– بدرجة كافية لمنع إقامة اتصالات عن طريق اللغة والمحادثة والذين فقدوا السمع قبل تكوين اللغة والحديث، أو هؤلاء الذي فقدوا السمع في مرحلة الطفولة بعد فترة قليلة من بداية التكوين الطبيعي للحديث واللغة.

وتتكون هذه المجموعة العامة من فئتين أساسيتين طبقاً لزمن الإصابة في السمع وهي:

أ–فئة الصمم الولادي وتضم الأطفال الذين يولدون فاقدين للسمع.

ب–فئة الصمم المكتسب وتضم الأطفال الذين يولدون بدرجة عادية من السمع ثم تفقد حاسة السمع لديهم وظائفها في وقت لاحق سواء عن طريق الإصابة بالمرض أو الإصابة في الحوادث.

هذا التعريف يركز بدرجة أكبر علي الأحداث السابقة ولا يولي اهتماما بالسلوك الراهن ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الأطفال الذين يولدون فاقدين لدرجة كبيرة من السمع ربما يكتسبون طريقة جديدة في الكلام واللغة، ويحققون أوضاعا اجتماعية زمنية في الأمور الحياتية المعتادة، وفي نفس الوقت قد نجد أشخاصاً آخرين يعانون من فقدان السمع بنفس الدرجة– من وجهة النظر الفسيولوجية– منذ الميلاد إلا أنه يستحيل عليهم تعلم الكلام واللغة بطريقة ملائمة، وهاتان المجموعتان تمثلان صورتين مختلفتين تماما من وجهة النظر السيكولوجية.

بالإضافة إلي المصطلحات التي استخدمها هذا التعريف مثل وظيفي Functional والأغراض العدية في الحياة Ordinary Purposes تعتبر من نوع المفاهيم المغضبة التي تتطلب أوصافاً أكثر دقة وتحديداً، كما أن السمع ظاهرة لا يمكن تقسيمها إلي قطاعات منعزلة كان نقول وظيفي أو غير وظيفي.

كذلك فالأداء الوظيفي للأذنين ليس هو الحقيقة الوحيدة أو الأكثر أهمية، فقد يولد طفل علي درجة لا بأس بها من السمع المتبقي، وقد ينمو معتمدا علي طريقة الإشارة في التواصل، وعندما يصل لسن الرشد يكون شخصا أصم يعيش بشكل تام في عالم الصم، في حين أن طفلاً آخر قد يكون لديه درجة أقل نسبياً من الصمم، ولكنه ينمو ويصبح شخصا يستطيع الكلام ويجيد قراءة الشفاه ويعيش بشكل أساسي في العالم السيكولوجي للأشخاص العاديين في السمع، ولذلك فالنظر لهذين الطفلين من الناحية السيكولوجية للأشخاص العاديين في السمع، ولذلك فالنظر لهذين الطفلين من الناحية السيكولوجية وتصنيفهما علي أنهما من الصم لأنهما ليس لديهما سمع وظيفي سوف يكون تصنيفاً مضللاً

د. إبراهيم محمد المغازى
قسم علم النفس
جامعة بور سعيد